Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (7), Issue (1) February (2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

ابن سماك العاملي موارده ومناهجه في كتابه رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير

أ.م.د. محمد نصيف حردان

جامعة كركوك / كلية التربية للبنات

Ibn Samak Al-Amili, his resources and approach in his book, Ronaq Al-Tahbir fi Hukm Al-Siyasa wa Al-Tadbir

Assistant Professor Dr. Muhammad Naseef Hardan
University of Kirkuk / College of Education for Girls
hardan@uokirkuk.edu.iq

الملخص

يعد ابن سماك العاملي من اهم المؤرخين الذين لهم اثر في الواقع السياسي في الاندلس عامة وسلطنة غرناطة خاصة وذلك لأنّه قد شغل مناصب مهمة في هذه السلطنة وبذلك فان كتاباته كانت عبارة عن صورة لواقع سياسي ادركه المؤلف نفسه ؛ وقد توسعت كتاباته في عدة مجالات ما بين مؤلفات ادبية وتاريخية ، ونجده احيانا يتحدث في كتابه بمثابة واعظ ومؤرخ عن سيرة الخلفاء والامراء كما في كتابه (الدر الثمين في مناهج الملوك والسلاطين) واحياناً نجده يكتب لنا حكم رائعة ونوادر أورد ها على السنة الامراء والحجاب كما هو الحال في كتابه (الزهرات المنثورة في كلمات الاخبار المأثورة)ان الحياة السياسية التي عاشتها الامة الإسلامية وخاصة اهل الاندلس وتهديدهم بالفناء من قبل الاوروبيين كانت احدى الاسباب التي دعت ابن سماك للكتابة بهذا الجانب في محاولة منه لإعادة احياء الامة ورفع معنويات الحكام من خلال تقديم اخبار من سبقهم من الملوك لبعث الامل في نفوسهم وهو ما جاء تحت عنوان (رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير).**الكلمات المفتاحية: ابن سماك، المرجعية السياسة، المؤرخين، التأدب في مجلس الملك، ادبيات.**

Abstract

Ibn Samak Al-Amili is considered one of the most important historians who have an impact on the political reality in Andalusia in general and the Sultanate of Granada in particular, because he held important positions in this Sultanate, and thus his writings were a picture of a political reality that the author himself realized; His writings expanded in several fields between literary and historical works, and we find him sometimes speaking in his book as a preacher and historian about the biography of the caliphs and princes, as in his book (Al-Durr Al-Thamin fi Manahij Al-Muluk wa Al-Sultans), and sometimes we find him writing us wonderful wisdom and anecdotes that he mentioned on the tongues of princes and veils, as is the case in his book (Al-Zahrat Al-Manthura fi Kalimat Al-Akhbar Al-Ma'thura).The political life that the Islamic nation lived, especially the people of Andalusia, and the threat of their annihilation by the Europeans was one of the reasons that prompted Ibn Samak to write about this aspect in an attempt to revive the nation and raise the morale of the rulers by presenting news of the kings who preceded them to instill hope in their souls, which came under the title (The Splendor of Writing in the Rule of Politics and Management).Keywords: Ibn Samak, political reference, historians, etiquette in the king’s council, literature.

المقدمة

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى إله وصحبه أجمعين يعد كتاب رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير لابن سماك العاملين أحد الكتب المهمة لأنّه كتاب تناول جانب مهم من الجوانب التي لها الرياسة في الحكم المتمثلة بالملك كذلك تناول فيه أهم المناصب الإدارية والعسكرية التي تقام على أساسها الدولة أو قد جاء هذا الكتاب على شكل وصايا وأدبيات على كل هؤلاء الذين يمثلون إدارة الدولة بكاملها، ولأجل هذا قمنا بدراسة هذا الكتاب ومن أجل الوصول إلى الغاية التي نريد الوصول إليها من تحليل الروايات التاريخية التي أوردها ابن سماك فقد

ذهبنا إلى دراسة هذا الكتاب من خلال موارده التي استقى منها معلوماته التاريخية وكذلك الوقوف على اهتماماته التي على ضوئها أدركنا منهجه في كتابة هذا المنجز الذي بين أيدينا.لقد أثرت المرجعية السياسية لابن سماك في صياغة عقيدته وتفكيره التي عبر عنها في حياته الشخصية سيما فإنّه يعد من الشخصيات المؤثرة في الأندلس وسلطنة غرناطة خاصة الأمر الذي دعا ابن سماك لإخراج كتابه رونق التحبير بهذا الشكل الذي طرحه بصفة الحكمة والوعظ للحكام واصحاب المناصب من خلال أبوابه الأربعين.قسمت هذه الدراسة إلى عدة مباحث تتضمن المبحث الأول (اسمه حياته) إذ أوردنا ما تناولته المصادر عن اسمه ونشأته وحياته، أمّا المبحث الثاني فجاء تحت عنوان (علمه) الذي سلطنا الضوء من خلاله على حياته العلمية التي كان عليها ابن سماك العاملي في زمانه، أمّا المبحث الثالث فكان تحت عنوان (محتوى الكتاب)هذا المبحث تناولت فيه وصف دقيق لمحتوى الكتاب من المقدمة مروراً بأبوابه الأربعين إذ وقفت عند كل باب باختصار محاولاً إيراد نص أو نصين من كل باب من أبوابه، أمّا المبحث الرابع فكان (موارده ومصادره) التي وقفنا على ما يمكن استنتاجه للخروج بفكرة عن موارده التي من خلالها نقل لنا ابن سماك روايته التاريخية في حين جاء المبحث الخامس تحت عنوان (منهجه) والذي من خلاله استطعنا استدراك أولويات ابن سماك واهتماماته لاستقراء منهجه في كتاب رونق التحبير والمادة التاريخية التي أوردها في كتابه أعلاه.لقد استفدت في كتابة بحثي هذا من عدة مصادر تاريخيه أهمها:كتاب (بهجة المجالس وانس المجالس) للقرطبي ت: ٤٦٣هـ، الاحكام السلطانية للماوردي ت:٤٢٠هـ، وكتاب بدائع السلك في طبائع الملك لابن رزق ت: ٨٩٦هـ، وكتاب اللمحة البدرية للسان الدين بن الخطيب، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ت: ٣٢٨هـ.

المبحث الأول (اسمه حياته)

أبو القاسم محمد بن أبي العلاء بن محمد بن سماك العاملي[١]ويبدو أنّ كثير من المصادر أغفلت ذكر ابن سماك العاملي رغم انه من اسرة مشهورة في الاندلس وخاصة في الشعر والكتابة إذ يقول عنهم ابن الخطيب "بيت معمور في القديم بصدور قضاة وسيوف الدين منتضاه"[٢] ويعلل أنّ سبب عدم الاتفاق على اسم مؤلف كتاب (رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير) هو يعود إلى التشابه بين اسمه واسم ابيه وذلك لان كليهما عرفا باسم سماك العاملي وهو لقب جدهم ومن وقع في هذا اللبس في التسمية هو صاحب كتاب الاعلام عندما أورد ترجمة باسم : محمد بن محمد بن سماك أبو العلاء العاملي الغرناطي ثم يعود للينسب إليه تأليفه لكتاب "رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير) وكذلك كتاب (الزهرات المنثورة في نكت الاخبار المأثورة", كما أنّه يذكر وفاته سنة (٧٥٠هـ)[٣] وقد اتفق في ذلك مع ابن حجر العسقلاني الذي هو الآخر يجعل سنة وفاته ٧٥٠ هـ[٤] أمّا لسان الدين ابن الخطيب فعندما أوردها قال: "الكاتب أبو العلاء محمد بن محمد بن سماك العاملي, –رحمه الله– تعالى وعامله بفضله وكرمه, مجموع خصل, وفرع نشأ عن أي أصل... كتب مع الحلبة وجعل دلوه في الدلاء"[٥] وما يفيدنا من هذه الترجمة ان والد المؤلف كان من كاتب ديوان الانشاء في البلاط النصيري[٦]وهي الوظيفة التي ورثها عنه ابنه أبو القاسم محمد بن ابي العلاء بن سماك وبمقارنة وفاته وهي كما أوردتها المصادر في سنة (٧٥٠ هـ) واهدائه نسخة الكتاب لملك بني نصر بالأندلس الغني بالله والذي ولي حكم الاندلس سنة (٧٥٥ هـ) اي بعد خمس سنوات من تاريخ وفاة ابن سماك ,الأمر الذي يدعونا للقول ان هذا التاريخ هو تاريخ وفاة والده وبذلك نرجح الرواية الاخرى الأقرب الى المنطق فما يتعلق باسمه وهو ما أورده ابن الخطيب[٧] [٨] الذي عاصر مؤلف كتاب رونق التحبير إذ ما اخذنا بنظر الاعتبار ان ابن الخطيب الف كتابه الكتيبة الكامنة في سنه (٧٧٤ هـ) وهي الأيام الأخيرة من عمرة وبالمقارنة بالعمر فأننا نتوقع ان يكون ابن سماك في سن تتراوح بين العشرين والثلاثين ونرجح ان مولده في منتصف القرن الثامن الهجري والذي أورد الاسم : أبو القاسم محمد بن ابي العلا محمد بن محمد بن سماك بن عبد الحق العاملي الغرناطي[٩] وخلاصة القول ان عدم الاتفاق على سنة وفاته هي سبب في عدم التفرقة بينه وبين أبيه سيما وأنّهما يحملان نفس الاسم .أمّا عن أسرته فقد سكنت أول الأمر مدينة مالقه[١٠] وأبرز من ذاع صيته من هذه العائلة هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن سماك وهو الجد الأكبر لصاحب كتاب رونق التحبير وقد كان وراء شهرته إضافة إلى نباهته وعلمه فإنّه قد شغل منصب القضاء عند الموحدين وقد ظل في مالقه ثمّ غادرها إلى غرناطة[١١] ونتيجة لتقلبات الأوضاع السياسية في الأندلس حاول العودة إلى مراكش و فضل العزلة لكن الموحدين أعادوه إلى منصبه وولوه قضاء غرناطة ومالقه[١٢] أمّا ما يتعلق بوالده فقد سبق الحديث عنه وخير من ذكره هو ابن الخطيب إذ اغنانا بمعلومات عنه وقد ذكر أنّه كان كاتباً لأحد سلاطين بني الأحمر وهو يوسف الأول (٧٢٥ – ٧٥٥) بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما قال أّن أبا القاسم محمد بن أبي العلاء قد استمر في منصبه في ديوان الإنشاء لمده تفوق ثلاثاً وثلاثين سنة كما أنّه عاصر من سلاطين بني نصر بالأندلس ثلاث ملوك فهم أبو عبد الله محمد الغني بالله[١٣], وابنه يوسف[١٤], ثمّ حفيد الغني بالله الذي ألف كتاب رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير في عهده بل أنّه أهداه له[١٥].

نشأته العلمية لقد كان لأسرته دوراً في نشأة ونبوغ علمه وثقافته إذ يقول ابن الخطيب عن أسرة ابن السماك : "بيت معمور في القديم بصدور قضاة , وسيوف الدين منتضاة"[١٦] فجده كان قاضياً عند الموحدين وأبوه كان كاتبه عند سلاطين بني الأحمر, وبالتالي فإنّه نشأ في بيت علم ونبوغ

وفضل فهو حمل من الخصال ما هو نادر وقد ورث ديوان الإنشاء في البلاد النصري عن أبيه , ومنذ حداثة سنه فقد ذاع صيته ممّا أهله للعمل في ديوان الإنشاء في سلطنة غرناطة سيما وإنّ هذا المنصب وهو كاتب الديوان يتطلب مهارات كثيرة لمن يتقلد هذا المنصب أن يجيدها لأنّ الكاتب من أهم المهن وأكثرها دقه وقد وصفه ابن الخطيب بقوله: "خصاله بارعة ونصاله شارعه وشمائله إلى نداء الفضل مسارعه , على حداثه يندر معها الكمال , وتستظرف الأعمال فإن انفتح مداه بلغت السماك يداه"[١٧] لقد تأثر في الحياة السياسية التي عاصرها ويبدو أّن المؤلف أراد أن يخلق حالة صحية مثالية عندما اعتمد المرجعية المحلية في توجيه فنه نحو انتقاده واقع سياسي وذلك من خلال ما ألفه هو ومن عاصره للمؤرخين وغيرهم إذ بدأ واضحاً من خلال فيض المؤلفات الأندلسية المشبعة بالنصائح والحلول لأنّهم أرادوا بلورة الفكر التاريخي من خلال التأليف ليرسم صوره مثالية يتمني للمجتمع أن يعيش فيها وخير دليل هو مؤلفاته أمثال كتاب الدر الثمين في مناهج الملوك والسلاطين , وكتاب رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير , وكتاب الزهرات المنثورة في نكات الأخبار المأثورة[١٨].

المبحث الثاني / محتوى الكتاب

اولاً: المقدمة يعتبر كتاب (رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير) من أهم الكتب والمصنفات التي تناولت التاريخ الثقافي العربي في الأندلس لأنّه يعد بمثابة خلاصة التفكير السياسي العربي الإسلامي , كما يعد تجميعاً وتركيباً لجملة من القواعد السياسية والأداب السلطانية, وقد أورد ابن سماك سبب تأليفه للكتاب عندما قال : "جرت عادته في خدمة مقامه العلي الملوكي , وصل الله أسباب نصره وعقده وفي خدمة الموالي المقدسين والده وجده ... وجمع العبد الان في هذه الموضوع من السياسات المستحسنة استفاد من بابهم الكريم ثلاثة وثلاثين سنة , انتقل إلى معرفة ذلك بالحنكة والتجريب والممارسة والتدريب"[١٩] ومن هذا الكلام نفهم أنّه قد عاش في البلاط النصيري إذ كان قريب من الحاكم بعلاقة حميميه شجعت ابن سماك لوضع مؤلفه السياسي "الذي يشير في طرف خفي للوضعية الحرجة والأرضية القلقة لحكم بني نصر في الأندلس"[٢٠] خاصة في عهد الغني بالله النصيري[٢١] والذي يقول صاحب الكتاب أنّه الف كتاب رونق التحبير من أجله, ومن أجل تثبيت أركان دولته والتي عاشت فترة من الفتن الداخلية وحروب مع الممالك النصرانية[٢٢], ولهذا كان الكتاب عبارة عن مجموعة من النصائح والوصايا والقواعد السياسية والاخلاقية[٢٣] وكذلك أشار ابن سماك في مقدمة كتابه رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير ان اهم ما يتم تناوله في هذا الكتاب هو عباره عن قوانين مستوحاة من حكمه من خلال عدة ابواب كلها تدور حول ادارة الحكم وسياسة الملك يقول : " توشحت من الحسن في ابهى المضارب والأبواب وانحصرت في جملة من الأبواب بلغت عدتها إلى الاربعين ورفعه العبد إلى خزانة مولانا المستعين "[٢٤] وبهذا يكون ابن سماك قد حدد موضوعات كتابه بانها موجه إلى من يحكم ويدير امر السياسة وادارة الملك , كما أشار المؤلف انه استسقى معارفه من العلوم والمعارف التي هي عند الحاكم لأنّه يصفه بقوله :"فهو اعلى الله مقامه , وادام للامة المحمدية أيامه الملك الذي استولى على صفات الكمال واختص بحلي الحسن والجمال" [٢٥] وانه اي الحاكم قد حمل من الخلق والاطلاع على اخبار من تقدم من الزمن السالف كما أشار ابن سماك انه الف الكتاب من اجل حاكم الاندلس المستعين النصيري وذلك من خلال الحكم والوصايا التي هي من اساسيات إدارة الملك واعتبرها ابن سماك لغرض تثبيت سلطان المستعين النصيري وتثبيت أركان دولته وينهي كلامه في مقدمة بالدعاء إلى محمد المستعين بقوله : "والله تعالى يزيد من فضله واحسانه , ويخلد رفيع سلطانه , ويديم ايامه التي هي ايام العز والهدنة ,والامان والعافية ويبقيه ظل النعمة الشاملة والعصمة الكافلة, بفضله وكرمه"[٢٦] كذلك يشير إلى تسميته الكتاب بقوله " وسميته: كتاب رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير.."[٢٧].

المبحث الثالث: المحتوى

احتوى كتاب (رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير) على اربعين باب حسب ما سماه مؤلفه بقوله: " توشحت من الحسن في ابها المضارب والأبواب، وانحصرت في جملة من الابواب، بلغت عدتها إلى الاربعين ورفعة العبد إلى خزانة مولانا المستعين"[٢٨] إذ يشير صاحب الكتاب من خلال هذا النص ان عدد ابواب الكتاب اربعين بابا اهداها إلى الخليفة المستعين جاءت هذه الأبواب على شكل حكم ومواعظ تقدم إلى صاحب الملك ومن معه في الإدارة كصاحب الشرطة والوزير والكاتب و الحاجب والقاضي والشعراء وقادة الجند وقد خصص لكل فئة من تلك الفئات بابا اوجز فيه ما يمكن لصاحب المهنة ان يتحلى به فكان الباب الأول في حال الملك والباب الثاني في صفات الملك وخصص الباب الثالث في الحق الواجب على الملك[٢٩]لينتقل بعدها إلى اصحاب الوظائف القريبين من الملك كالوزير والحاجب والقاضي وقائد الجند والسفير يصل إلى الباب السابع عشر ليكمل حديثه عن الملك وكبقية التعامل معه وكيفية التقرب إليه وهكذا يستمر إلى نهاية الاربعين ليختم لنا كتابه تحت عنوان توقيعات الملك[٣٠]كانت ابواب الكتاب ذات صبغة سياسة بحكم موضوعاتها ولكنها كانت ذات مواعظ وحكم اكدت على احترام ولي الأمر وطاعته إذ جاء في باب حال الملك وهيئته بقوله: "وانه سبحانه لما خص الملوك لولاية امره، وأكرمهم بسلطانه، ومكن لهم في بلاده، وفضلهم على عباده، اوجب

على رعاياهم تعظيمهم وتوقيرهم، كما اوجب عليهم طاعتهم والخضوع لهم "[٣١] وقد استشهد بذلك في الآية القرآنية بقوله عز وجل في كتابه العزيز "يا أيها الذين أمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم"[٣٢]وذهب ابن سماك إلى ابعد من ذلك عندما قرن سعادة الرعية في طاعة الملوك ومما لا شك فيه اننا نجد ان صاحب الكتاب بالغ في تعظيم الملك ولا نستطيع ان نضعها في خانة التملق للسلطان إذ نجد انه يقارن بين طاعة الملك ويجعلها مشروطه بطاعة ملك الملوك(الله سبحانه وتعالى) بقوله: فقالت الحكماء: " سعادة الرعية في طاعة الملوك، وسعادة الملوك في طاعته ملك الملوك سبحانه وتعالى "[٣٣] وتحدث في هذا الباب أيضاً عن الامانة إذ عدها واجبة بالإجماع لأنها تقوم على حراسة الدين وسياسة الدنيا كما أنه وضع ستة شروط لأهل الأمانة منها العدل والعلم وسلامة الحواس وسلامة الأعضاء ورجاحة الرأي والتدبير والشجاعة[٣٤] كما أشار ابن سماك في هذا الباب إلى تقسيمات الأمم للملوك إذ جعلها أربعة أقسام من ناحية البذل والسخاء بقوله: "وقسمت الامم الملوك إلى أربعه أقسام ملك سخي على نفسه سخي على رعيته وملك مقتر على نفسه مقتر على رعيته وملك سخي على نفسه مقتر على رعيته وملك مقتر على نفسه سخي على رعيته"[٣٥] وقد أضاف في نهاية هذا الباب قول الحكماء فيما يخص صفات الملك بقوله: "ينبغي للملك أن يكون عظيم الهمة من غير جبروت متيقظ الفكرة، جيد البحث، وافر الفضل، صحيح اللسان، عذب الالفاظ، متطلعا إلى العواقب ذا رأفة ورحمة... وان يتزين برتبة جميلة، وشارة حسنة، ... ويكون ملتزماً بكثرة الوقار وقلة الضحك فإن كثرة الضحك تذهب الهيبة، والهيبة بهية الملك، فيجب ان تكون هيبة الملك في النفوس أمضى من سلاحة "[٣٦] وبهذه الصفات يختم ابن سماك حديثه عن حالة الملك وهيئته.

٢- باب في أخلاق الملك وصفاته: وفي هذا الباب يتحدث ابن سماك عن يوميات الملك وكيف يقسم يومه فبدأ بذكره أن الملك يبدا يومه بذكر الله عز وجل ومن ثم يتفرغ لأمور الرعية واصلاح أمورهم، ثمّ يقول أنّ وسط النهار يجب على الملك أن يخصصه لأكله ومنامه ومن ثم ينهي يومه بلهوه وشغله بقوله: "ينبغي للملك أن يقسم يومه أقساماً فأوله لذكر الله عز وجل وتعظيمه وتهليله وصدره لتدبير رعاياه وإصلاح أمورهم، ووسطه لأكله ومنامه وطرفه للهو وشغله" [٣٧] ثمّ يختم كلامه عن يوم الملك وكيف يقضيه بقوله: "وإن وضع هذه الأقسام في غير مواضعها فلا يجد للهوه لذة ولا لنعيمه سروراً "[٣٨] كما أكد في هذا الباب أيضاً على واجبات الملك تجاه الرعية وقد أوردها بعشرة أشياء أهمها حفظ الدين على أصوله وفض النزاعات وحماية الناس واقامة حدود الله تعالى وتحصين الثغور والوقوف بوجه من يعادي الاسلام, وكذلك جباية الأموال بما يوجبه الشرع وتقدير العطاء وأن يشرف بنفسه على أحوال الناس[٣٩] كما أشار صاحب الكتاب على أنّ الملك أن يراعي وزيره ويقوي العلاقة معه ويجعله يده اليمين في مجلسه بقوله : "ومن أخلاق الملك أن يراعي وزيره أكثر من مراعاته لنفسه ويشاوره في قليله وكثيره ويدنيه في مجالسته فإنّه زينة في الملا وأنسه في الخلاء.."[٤٠] ثم يختم صاحب الكتاب هذا الباب في حديثه عن أخلاق الملك وصفاته في حكمه وإدائه لملكه بقوله : "ومجموع صلاح المملكة في ثلاث: عز الدين، واستفاضة الأمن، وصلاح حال الرعية "[٤١].

٣-باب الحق الواجب للملك أورد ابن سماك في هذا الباب كيفية التأدب في مجلس الملك ومن شروط الجلوس بين يدي الملك لان في ذلك هيبة وعزة ولا يجب لأي كان في مجلسه ان يخالف ذلك بقوله :" ومن الحق الواجب للملك تعظيم مجلسه اذا قام عنه كتعظيم حضوره "[٤٢]هذا وقد خصص هذا الباب في ذلك الشأن وحدد من خلاله الاصول الواجب اتباعها في حضره الملك ومجالسته.

٤- باب في حاله الوزير ووصفه وفي هذا الباب ابتدأ ابن سماك بتقسيم الوزارة إلى قسمين وزارة التفويض ووزارة التنفيذ وحدد صلاحيات كل من هذا النوع من الوزارة كما انه وضع صفات لمن يمنح هذا المنصب وفرق بين كل من وزير التفويض ووزير التنفيذ من خلال المهام والصفات والصلاحيات اما عن اختيار الوزير فقد استشهد ابن سماك في اختيار الوزير بقول للخليفة المأمون (١٩٨- ٢١٨ /هـ٨١٣ ـ ٨٣٣ م) بقوله: " ويحكى ان المأمون كتب في اختيار الوزير: " ان التمس لأمري رجلا جامعا لخصال الخير ، ذا عفه في خلائقه واستقامة في طرائقه قد هذبته الآداب واحكمته التجارب ان اوتمن على الاسرار قام بها وان قلد مهمات الأمور نهض بها"[٤٣] كما حدد ابن السماك خصال الوزير وجعلها خمسة عشر خصلة جعل اولها تمام الجسم ثم جمال الوجه حسن الملبس وصادق القول عزيز النفس عالي الهمة محبا للعدل ذو عزيمه وجعل أيضاً صفات اخرى هي ان يكون ذا خط جيد يحسن الكتابة ذو ادب وعلم ولغة فهو بقوله: "ان يكون كاتبا حسنا مرسلا خطاطا ادبيا حافظا للتواريخ عارفا بأخبار المتقدمين من الامم الماضية"[٤٤] ومن هذا كله ندرك ان ابن سماك اولى الوزير اهمية كبرى لأنّه صاحب الملك وعضيده ولذا قد احكم صفاته الخلقية والاخلاقية وحددها بدقة لأهمية هذه المهنة عند الملك.ويستمر صاحب الكتاب في ايراد الوظائف الإدارية التي لها تماس مباشر مع الحاكم او الخليفة فيورد لنا ابواب عده تناول هذا الجانب كما هو الحال مع الباب الرابع حسب ترتيب الكاتب فيصف فيه الوزير وصفا دقيقا بعد ان يوضح ان الوزارة نوعين هما وزاره التفويض وزاره التنفيذ ثم يعود ليفصل مهام كل وزاره وصلاحيات كل وزير حسب وزارته التي يعهد إليها من قبل الحاكم ليوصل القارئ إلى مسألة مهمه لتبيان الفرق بينهما من حيث الصلاحيات بقوله: "اما وزاره التنفيذ فحكمها اضعف وشروطها اقل

لان النظر فيها مقصور على راي الامام وتدبيره"[٤٥] كذلك يتناول من هذا الباب اوصاف الوزير فيجعلها سبعة اوصاف أهمها: "الأمانة، الصدق، قلة الطمع"[٤٦] واضافه إلى الأوصاف فانه أشار إلى صفات خلقيه (جسمانية) وحددها بخمسه عشر خصلة منها بقوله: "ان يكون تام الاعضاء غير مصاب بآفة في سمعه وبصره"[٤٧] وإلى جانب مهنه الوزير كان للكاتب نصيب في ذلك إذ أشار ابن سماك للكاتب بقوله: "كاتب الملك هو مستقر اسراره ولسانه الناطق عنه في افاق مملكته واقطار بلاده والمخصوص بقربه ولزومه دون غيره من الوزراء"[٤٨] وقد صنفهم إلى اربعه اصناف إذ أشار إلى ذلك بنص يقوله فيه : "الكتاب اربعه أصناف، كاتب التدبير وهو كاتب اللفظ والمرسل وكاتب الخط، وهو الوراق الناسخ وكاتب حكم وعقد وهو كاتب الشروط وغير ذلك مما يرجع إلى الاحكام وكاتب الحساب وهو كاتب الديون والاعمال وجبايه الأموال" وكذلك حدد لهم صفاتهم التي يجب ان يتحلون بها وجعل على اولها ان يكون الكاتب متمرس في علم الكلام ثم تأتي باقي الصفات مكمله له كالأخلاق والعفة وحسن المعاملة كما اوجد محددات لعمل الكاتب اهمها معرفه مراتب المكاتبين عند من يكتب عنه وما يليق بهم فجعلهم صاحب الكتاب ثلاث مراتب منها مرتبه من هم فوقك ومرتبه من هم مثلك ومرتبه من هم دونك ومن خلال تحديد المراتب تصاغ عبارات المخاطبة للكتابة[٤٩]ويستمر صاحب الكتاب في تناول اصحاب المهن الإدارية التي لها دور في تقوية الملك وصاحب الأمر فيذكر في الباب السادس عن الحاجب وصفاته ويسهب في ذلك ويعطي تفاصيل لهذه المهنة وأهميتها عند حكام المسلمين ودور الحاجب في تنظيم لقاء الخليفة بقوله: "وعلى الحاجب أن يشتد في حجب الملك وأن لا يسمح في الدخول عليه حتى يكون بإذنه سواء كان ابنه او من هو دونه"[٥٠]وللقضاء نصيب من كتاب رونق التحبير إذ أشار صاحب الكتاب إلى ذلك بقوله: "وأّما القضاء بين الناس في الاموال والدماء وغيرها فان تلك منزلة لا يستطيع الملك أن يباشرها بنفسه فلابد أن له أن يقدم من يباشرها"[٥١] ولأهمية هذه الخطة حسب ما أوردها ابن سماك في كتابه رونق التحبير فقد جعل لها شروط لإنّها أعظم الخطط قدراً وأعلاها ذكراً ولذلك أورد لنا صاحب كتاب الأحكام السلطانية سبعة شروط لمن يتقلد منصب القاضي وهي أن يكون "رجلاً، عاقلاً، حراً ، مسلماً سلامة السمع والبصر عالماً بالأحكام الشرعية"[٥٢]وقد أشار صاحب الكتاب من الباب الثامن إلى ناظر المظالم تحت عنوان: ولاية رد المظالم إذ قال فيها: وهذه منزله لا تناط إلا ممن اجتمعت فيه هذه الخصال السبع: "وهي الأولى الشرف، والثانية صحة الرأي والعقل، والثالثة طول ممارسة الأمور، والرابعة شدة العارضة، والخامسة حب السلامة للناس، والسادسة مجانبة الريب والتنزه، والسابعة حذق اللسان حتى يوثق"[٥٣] أمّا ما يتعلق باختصاص ناظر المظالم جعلها صاحب الكتاب الأحكام السلطانية بعشرة أقسام وهي ما يعرض على صاحب المظالم للنضر فيها وكل هذه الأقسام هي تعود لمن له مناصب إدارية في الدولة وليسعنا ذكرها بالتفصيل[٥٤]وهناك أبواب اخرى أوردها صاحب الكتاب وهي كل من صاحب الشرطة[٥٥] والحسبة[٥٦] والسفراء ومهامهم وصفاتهم[٥٧] وقادة الجند ورؤساء الأجناد وحالهم وكذلك خص باب أورد فيه سياسة الحروب وتدبيرها كذلك تناول مسألة الأرزاق والمؤن للجند تحت باب أسماه العطاء وتقديره[٥٨] ولأهمية مكانة الملك وما يتوجب على الرعية في كيفية التعامل والتأدب في مجلسه ومقامه فقد جعل صاحب الكتاب لذلك عدة أبواب إذ نلاحظ ان من الباب السابع عشر وحتى الباب الأربعون كلها تتحدث عن كيفية التعامل مع الملك والتأدب بأدب مجلس الملك فالباب السابع عشر يتحدث عن كيفية الدخول على الملك إذ يوضح بالتفصيل الدقيق ذلك بقوله: "اذ كان الداخل على الملك من الاشراف في الطبقة العالية فمن حق الملك ان يقف فيه بالموضع الذي لا يبعد عنه.. فان أومأ إليه بالقعود قعد وإن كلمه إجابة بانخفاض صوت وقلة حركة"[٥٩]ثم يسترسل صاحب كتاب رونق التحبير في وصف دقيق لأداب مجالسة الملوك ليسرد لنا في الأبواب التالية مجموعة أدبيات استطاع من خلالها تحديد سلوكيات العامة في مجالسة الملوك سواء كان في الدخول عليه أو في طلب حاجة منه وكيفية الاستماع إليه في مجلسه مثلا في الباب السابع عشر يوصف لنا صاحب الكتاب طريقه الدخول على الملك بقوله: "إذا كان الرجل الداخل على الملك من الإشراف من الطبقة العالية فمن حق الملك أن يقف منه بالموضع الذي لا يبعد عنه ولا يقرب منه وأن يسلم عليه قائما فان استدناه الملك قرب منه فأكب على أطرافه يقبله"[٦٠] وربما هذا الكلام لا ينطبق على العالم الإسلامي لأننّا وفق الشريعة الإسلامية نجد تعارض مع مسألة الركوع وتقبيل الايادي. أمّا في باب تسميه الملك الذي جاء ضمن الباب الثامن عشر فيقول: "يجب على الملك أن يختص باسم علم مشهور يعرف عنه ويخاطب به لأنّه علم يشار إليه ويقصد نحوه"[٦١]وقد قسم الأسماء على أربعه أقسام: "مستحب، ممنوع، ومكروه، ومباح فأمّا المستحب فالتسميه باسم العبودية وأسماء الأنبياء، وأمّا الممنوع تسمية الرجل باسم المرأة وتسمية المرأة باسم الرجل؛ لأنّ ذلك تشبه بالنساء وكذلك التسمية بأسماء الملائكة وأسماء الشياطين واسم فرعون، وأمّا المكروه فنحوه فلاح ونافع، وبركة، ويسار، ومرزوق، ومسعود، أمّا المباح فهو ما عدا ما ذكر"[٦٢] ومن الحق الواجب للملك ألا يسمى، ولا يكنى ولا ينادي باسمه في جد ولا في هزل ولا أنس ولا غيره وإذ يعد ذلك عندهم فيه تقليل لهيبه الملك.ويستحب في تسميه السلطان أن يلقب ويسمى خليفة؛ لأنّه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال له: يا خليفه رسول الله أو يقال خليفة ولا يصح أن يقال خليفة الله استناداً إلى قوله تعالى: "وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات"[٦٣]وهكذا ينقل لنا صاحب الكتاب أخبار الملوك أداء

مجالستهم وحسن الاستماع إليهم ففي الباب العشرون يقول: "ومن حق الواجب للملك إذا حدث بحديث أن يعرف كل من حضر فكره وذهنه نحوه"[٦٤] وهذا النص يؤكد على مسئلة مجالسة الملك وحسن الاستماع إليه وقد أشار إلى وجوب الانتباه والاصغاء إلى ما يقوله الملوك ولا يزال الكلام حول مجلس الملك في إشارة منه إلى الباب الحادي والعشرون في تحديد صفات من يحق لهم أن يكونوا ندماء الملك إذ يقول: "وينبغي أن يكون نديم الملك معتدل الأخلاق سليم الجوارح...."[٦٥] وقد استثنى من هذه الطبقة أهل الذمة بقوله: " والذمي ليس بداخل في هذه الأقسام المذمومة"[٦٦] وفي هذا الباب يشير ابن سماك العاملي في ذلك أن اختلاف قد حصل في طبقات الندماء إذ يقول:" واستمرت كذلك اخلاق الملوك من العرب والعجم حتى ملك يزيد بن عبد الملك فساوى بين الطبقة العليا والسفلى وأفسد طبقات المراتب وغلب عليه اللهو واستخف بقوانين المملكة وأذن للندماء في الضحك والهزل في مجلسه والرد عليه وهو أول من أدل عليه في وجهه على جهة الهزل والملاعبة"[٦٧] أمّا بقية الأبواب فكلها لا تخرج عن أنّها تتحدث عن أدبيات من هم يتعاملون مع الملك أو من حاشية القصر لأنّهم دون شك على تماس مباشر معه مثلاً الباب الثاني والعشرون جاء تحت عنوان (في مطاعمه الملك) وإلى ذلك يقول صاحب الكتاب "ومن الحق الواجب للملك أن لا يشره أحد إلى طعامه ولا غرضه أن يملأ بطنه"[٦٨] وكذلك حدد في هذا الباب أيضاً أدبيات اخرى مثلاً من يشارك الملك في طعامه وجب عليه أثناء الأكل أن لا يرفع عينه على الملك فقيل أّن من الواجب للملك ألّا ترفع إليه عين إذا أكل ولا تضع يدك حيث يضع يده أثناء الأكل كما أيضاً حدد في احد ابواب الكتاب كيفيه الصلاة مع الملك وما يسمح به التقليد السائد ان يكون مع الملك في صلاته"[٦٩] ثم يستمر الكاتب في تحديد واجبات من هم في صحبه الملك وهذه المحددات التي وضعها لنا صاحب الكتاب تعطي دلاله واضحه عن هيبه الملك وقدسيته فيقول في من يصاحب الملك في مسيره" ان لا يتقدمه حتى لا ينظر إلى قفاه وان لا يتأخر عنه حتى يلوي عنقه نحوه ومنها ان لا يبتدئه بالكلام"[٧٠] وكذلك الحال ينطبق في باب مسامرة الملك الذي خص له باب سمي (باب مسامرة الملك) إذ وجب على من يسامر الملك ان يكون فائق الذكاء والفطنة بقوله: "ومن الحق الواجب للملك أن لا يعاد عليه الحديث مرتين وان طال بينهما الدهر وغيرت الايام الا ان يذكره الملك فإذا ذكره فهو إذن له في إعادته"[٧١]. اما ما يتعلق في الباب السادس والعشرون الذي خصه في كيفيه اللعب مع الملوك بقوله : " لا صياح يعلو كلامه ولا تكثير عليه ولا تكرار ولا سب ولا قذف ولا تعريض ولا ما هو خارج عن حدود الادب"[٧٢] كما وينبغي على الملك ان لا يطلع احد على اسراره حتى من افراد اسرته لأنّه حسب قول صاحب الكتاب: "فإنّ الملك لا يحتمل ثلاثة رجال صفة أحدهم إذ يطغى على ملكه وصفة الآخر إذ يذيع أسراره، وصفة الآخر ان يخونه"[٧٣] وممّا تجدر الأشار ة إليه في مسألة حلم الملوك وتغافلهم عمّا يطلع عليه من المصائب إذ أورد لنا حادثه عن الخليفة معاوية بن ابي سفيان في يوم عيد عندما حظر الناس للتهنئة بالعيد.. "وقد قعد للناس ووضعت الموائد وبدر الدراهم للجوائز فجاء رجل من الجماعة والناس يأكلون فقعد على كيس فيه دنانير فصاح به الخدم... فسمعهم معاوية فقال: دعوا الرجل يقعد حيث انتهى به مجلسه فأخذ الكيس فوضعه بين بطنه وحجرة سراويله فقام فلم يجترئ أحد أن يدنو منه فقال الخازن: أصلح الله أمير المؤمنين قد نقص من المال كيس دنانير قال: أنا صاحبه وهو لك محسوب"[٧٤]أمّا ما يتعلق بالأبواب التاسع والعشرون حتى الباب الأربعون في مجملها تتحدث عن ما يخص الملك وكيفيه التعامل معه من الحاشية المقربة منه والتي ترافقه وتؤنسه وتسليه وكلها وضعت لها أدبيات في التعامل وجعلوا لها حدود يجب على الطرف الآخر أن لا يتجاوزها لأنّهم يعدوها تقلل من هيبة الملك وتحط من مكانته ، سيما وان كل أبواب الكتاب عالجت هذه المسائل ووضعت لها أصول وقواعد فمثلا جاء الباب الرابع والثلاثون في توضيح لخصوصية دقيقة في حياة الملك تتعلق بمنام الملك إذ يقول صاحب كتاب رونق التحبير بهذا الباب: "ومن حق الواجب للملك إذ غلبته عيناه أن ينهض من حضره من صغير أو كبير بحركة خفيفة لينه حتى يتوارى عن قرار مجلسه"[٧٥] ويقول في ذلك أيضاً: "ومن حق الملك أن لا يكون لمنامه في ليل أو نهار موضع يظهر عليه فيه أو يقصر عليه"[٧٦] وهذا يعطي حقيقة مفادها أن الملوك يجب عليهم أن تتجلى خصوصيتهم في تمييز حياتهم عن باقي الناس كيف لا وهم الذين يديرون الملك كما وقد خص في الباب الخامس والثلاثون بابا تحت عنوان : (في الهدايا للملك) تحدث فيه صاحب الكتاب عن شروط من يقدم الهدايا وكيفيه القيام بهذا الفعل لأنّه يجب أن يخضع لضوابط إذ يقول في هذا الباب : "ومن أخلاق الملك في الهدايا التي تهدى إليه أن تعرض عليه وتوضع بين يديه وعلى الملك أن يلاحظ على ما يهدى إليه ويأمر بالمكافآت عليها لتبقى قوانين الملك محفوظه"[٧٧]، ولا زلنا في الأبواب التي تنظر في أسرار شخصيات الملوك فقد جاء في الباب السادس والثلاثون للحديث عن ملابس الملك وهنا لابد من التوضيح في التفريق بين ملوك العجم وملوك العرب فقد أشار إلى لباس ملوك العجم بقوله: "وأخلاق الملوك تختلف في اللباس فمنهم من كان لا يلبس القميص إلّا يوماً واحداً أو ساعة واحدة فإذا نزعه لم يعد إلى لبسه"[٧٨] كما يجب الأشار ة إلى أن هذا أيضاً لا ينطبق على كل ملوك العجم فقد أورد لنا صاحب الكتاب نصا يصف فيه لباس ملوك الفرس يقول: "وكان اردشير بن بابك، يزدجرد ، بهرام ، ابرويز، وكسرى يلبسون القميص ويغسل لهم ثم يلبسونه"[٧٩] ولملوك العرب أيضاً خصوصيه في ذلك تبعا لعصرهم فمثلا خلفاء الدولة العربية الإسلامية أيضاً كانوا يغالون في ذلك فقد عرف عن

الخلفاء الاوائل مثل معاوية بن ابي سفيان وعبد الملك وسليمان بل حتى بني العباس قيل انهم لا يلبسون القميص الا مرة واحدة لقد ختم صاحب كتاب رونق التحبير كتابه في الثلاث الأبواب الأخيرة مسترسلاً في مجلس الملك ليلتفت إلى مسألة مهمة وهي أنّه صنف الرعية أي الناس إلى أربعة أصناف: " صنف أثروا حق الله وطاعته واجهدوا أنفسهم في عبادته وبلغوا في ذلك أقصى غاية البشر وصنف عظموا السلطان حق تعظيمه وتفرغوا لمعونته على تقويم دين الله وسنته، وصنف كلفوا بالمنطق والكلام ....وصنف اجتهدوا لأنفسهم في معاشهم وعملوا فيه اقتناء الاموال واكتسابها وكل هذه الأصناف متعاونون ومتوافدون يحتاج بعضهم لبعض"[٨٠] ومما يجب ذكره أن صاحب الكتاب اعتمد في كتابه هذا على نموذجين من الملوك وهم الفرس والعرب ويبدو دون شك أن كل الحضارتين كانتا مزدهرتين في النظم السياسية والإدارية وبالتالي فإننا نجد أنفسنا أمام منظومة سياسية وإدارية متطورة قياساً لزمانها وقد أبدع مؤلف الكتاب حينما ختم أبواب كتابه بوصايا الملوك وتوقيعاتهم لأنّ الأولى تعطي دلالة للعدالة في الحكم ، والثانية تؤشر لسعة الملك وخصوصية الملك وتفرده بذلك.

المبحث الرابع: موارده ومصادره

لقد اعتمدنا في موارد ابن سماك العاملي على ما تناوله في أبوابه الأربعين من خلال المتن لأننا لم نجد أشار ة واضحة عن مصادره التي أخذ منها معلوماته وحسب ما متعارف عليه في تقسيم الموارد فإنّنا قسمنا الموارد إلى:

أولا : الموارد الشفوية : اكتفى ابن سماك في الروايات الشفوية بذكر الرواية التاريخية من دون أن يحيلنا إلى الرواة فلم نجد بين النصوص ما يشير إلى ذلك كأن يذكر (حدثنا، ذكرلنا) مثلا عندما يرد حديث عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حول الخط الحسن فإنّه بقوله: "روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: الخط الحسن يزيد الحق وضوحا"[٨١] كذلك نجد الأمر نفسه عندما يورد خبر عن الخليفة عمر بن الخطاب إذ لزم الأمر يتعلق بالقضاء فانه يختصر الأمر ب: "قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يصح أن يلي هذا الأمر إلا الشديد في غير ضعف الجواد في غير سرف"[٨٢]

ثانيا: المصادر المكتوبة:

يورد ابن السماك العاملي مجموعه من المصادر المكتوبة يحيل اليها القارئ ومن أهم هذه المصادر:

١. السنن وأهمها سنن الترمذي فمثلا عندما يروي حديث عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عند الحديث عن الأسماء بقوله: "أحب الاسماء إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن" فانه يحيل القارئ إلى سنن الترمذي"[٨٣]

٢. –المصادر اللغوية وأهمها كتاب التاج والعقد الفريد وصبح الاعشى وقد أحال القارئ في بعض صفحات الكتاب إلى بعض هذه الكتب وفي مواضع عدة:

ثالثا: كتب أخرى: لقد أحال صاحب الكتاب القارئ في مواضع عدة إلى مجموعه من الكتب ومن أشهرها كتاب

أ– بدائع السلك في طبائع الملك لأبي عبد الله بن الازرق إذ أحال لنا القارئ في حديثه عن أخلاق الملك بقوله: " ومن أخلاقه أنّه لا يقول لا في الذي يقول فيه نعم ولا نعم في الذي يقول فيه لا"[٨٤]

ب– كتاب الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابي القاسم بن رضوان المالقي[٨٥] .

ت–بهجت المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ابن عبد البر القرطبي[٨٦]

ث–الأحكام السلطانية والولايات الدينية أبي الحسن علي الماوردي[٨٧].

ج– السياسة في تدبير الرياسة، أرسطو طاليس ضمن كتاب الاصول اليونانية للنظريات السياسية في

ح–الإسلام"[٨٨].

منهج ابن سماك العاملي في كتابه رونق التحبير في حكم السياسة والتدبيرإنّ قراءه كتاب رونق التحبير لابن سماك العاملي ومن خلال المادة التاريخية التي بين طيات كتابه نلحظ أنّه أورد مجموعة مسائل كانت في صلب موارده ويمكن ذكرها من خلال الفقرات التالية:

أولا: إيراده للقران الكريم أورد ابن سماك آيات قرانيه كثيره وفي مواضع عده فمثلا في الباب الرابع الذي جاء تحت عنوان (في حال الوزير ووصفه) حيث ورد قوله تعالى: ((واجعل لي وزيرا من اهلي))[٨٩] ومما يجدر الأشار ة إليه انه أورد الاستشهاد بالآيات القرآنية كاملة دون ان يبتر الآية.

ثانيا: إيراده للسنة النبوية:في الحقيقة لم يكثر ابن سماك بالاستشهاد بالسنة النبوية ولم نعثر على أحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلا في مواضع محدودة وقد عثرنا على موارد للسنة في الباب الخامس الذي أسماه ابن سماك (في حال الكاتب ووصفه) وفي موضع محدد عن الحديث

عن جوده الخط عند الكاتب بقوله: "وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال: الخط الحسن يزيد الحق وضوحا وقد نسبب الحديث للإمام علي بن ابي طالب رضي الله عنه(٩٠)

ثالثا: أقوال الصحابة والفقهاء

اهتم ابن سماك بإيراد أقوال الصحابة والتابعين في مواضع عدة: وقد أشرنا إلى ذلك في قول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند حديثه عن الكتاب إذ أورد ذلك بقوله: وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه شر الكتابة المشق وشر القراءة الهذرمة وأجود الخط أبينه(٩١)).

وكذلك عثرنا في موضع أخر في نفس السياق قول للفقيه عبد الله بن العباس: "الخط لسان اليد وهو أفضل أجزاء الأدب"(٩٢).

رابعا: إيراده لآراء الحكماء والفلاسفة

اهتم ابن سماك في اقوال الحكماء والفلاسفة ويكاد لا يخلو اي باب من ابواب الكتاب الا وفيه ذكر لأقوالهم فمثلا في باب (حال الملك وهيئته) يورد قول لأرسطو طاليس الحكيم في هذا الموضع بقوله قالت الحكماء: "ينبغي للملك أن يكون عظيم الهمة من غير جبروت متيقظ الفكرة جيد البحث وآفر الفضل فصيح اللسان عذب الالفاظ"(٩٣).

خامسا: إيراده للشعر:

لقد كان الشعر حاضراً في كتاب رونق التحبير وقد عثرنا في مواضع عدة لأبيات شعرية في الباب الحادي والعشرون عند حديثه عن صفة المنادمة ونماء الملك إذ أورد أبيات شعر لإسحاق الموصلي قال فيه:

سليمي اجمعت بيننا فاين نقولها اينا(٩٤).

وذكر في موضع اخر ابيات شعر في نفس الغرض ولنفس الشاعر بقوله:

ويا سرحه الماء قد سدت موارده اما اليك سبيل غير مسدود

لصائم من لا صيام له ومشرد عن طريق الماء مطرود(٩٥)

سادساً: الجانب الاقتصادي: اضطر ابن السماك العاملي اهتمام في هذا الجانب من خلال إيراده أشار ات عند حديثه في الباب الثامن الذي جاء بعنوان (ولاية رد المظالم) فعندما قسم مهام صاحب المظالم إلى عشره أقسام جعل كتاب الدواوين أحدها بقوله:" أنّهم امناء المسلمين على بيوت أموالهم فيما يستوفونه لهم ويوفونه منهم(٩٦).أما في الباب الحادي عشر وهو مختص في حال العمال والمتصرفين فإنه أولى مسألة تفقد أحوال الزراعة مؤكداً على مسألة ريع الأرض وخراجها بقوله: "وعلى الملك أن يبعث في كل سنة رجل من أهل الدين والمروءة ليختبر في كل كورة أصناف الغلات وضروب الفوائد وما هي عليه من أحوال الناس من اليسار والافتقار"(٩٧) ويستشهد أيضاً في الاهتمامات الاقتصادية برواية في خلافة عمر بن الخطاب بقوله: "ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فرض الخراج على ناحية العراق واستعمله عثمان بن حنيف عليه"(٩٨) وأمره بالمساحة ووضع ما تتحمله الارض من الخراج راع في كل أرض ما تحتمله فإنّها تختلف من ثلاثة أوجه يؤثر كل واحد منها في زيادة الخراج ونقصانه أحدها ما يختص بالأرض من جودة يزكو بها زرعها ورداءة يقل بها ريعها الثاني ما يختص بالزرع من اختلاف أنواعه من الحبوب والثمار منهما ما يعظم ثمنه ومنها ما يقل ثمنه فيكون الخراج حسب ارتفاع ثمنه وانحطاطه والثالث ما يختص بالسقي والشروب لأنّ ما لزمت المؤونة في سقيه بالنواضح والدواليب لا يحتمل من الخراج ما يحتمله ما سقي من الأنهار والعيون التي ينقاد إليها عند الحاجة ويمنع عنها عند الاستغناء(٩٩)".

سابعا: إيراده للجوانب الاجتماعية:

لقد كان لابن سماك اهتمام واسع بالجوانب الاجتماعية وقد أورده الثاني كتابه رونق التحبير عدد إستشهادات بالأمور التي تقوم الحياة الاجتماعية وتنظم المجتمع مثلا في الباب العاشر يتحدث عن صاحب الحسبة فإنّه يضع الحسبة في فصلين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد جعل قسم خاص يتعلق بحقوق المجتمع والإفراد وقد أورد نصا يتحدث عن حقوق المرأة: من الأياما في المجتمع وكيف يصف حقها كذلك مسألة الحر والعبد.إذ يقول:" كأخذ الأولياء بانكاح الأيامى من اكفائهن إذ طولبن وإلزام النساء أحكام العدة إذ فورقن ويأخذ السادة بحقوق العبيد والإماء وأن لا يكلفوا من الأعمال ما لا يطيقون"(١٠٠) هذا وقد ذهب في موضع آخر إلى مسألة أكثر أهمية إلّا وهي تنظيم السكن وإقرار حق الجار إذ يقول في نفس الباب: " فما كان من حقوق الآدميين فمثلاً أن يتعدى رجل في حد لجاره أو في حريمه أو في وضع خشب على جداره أو تنشر عروق شجرة تحت الأرض حتى تدخل في قرار أرض جاره إلى مثل هذا أو ما شابه"(١٠١)وبهذا يكون قد حدد حقوق الجار وحذر من استقلال ذلك.وكذلك من الشواهد التي تؤكد الاهتمام بالجوانب الاجتماعية وحفظ حقوق الناس وصية الفقيه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت٨٧ هـ) وهو أحد الفقهاء السبعة وكان من أفضل أهل زمانه(١٠٢) إلى الخليفة عمر بن العزيز لما ولي الخلافة إذ يقول: "لما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز رضي

الله عنه أرسل إلى سالم فقال له أشر علي فقال له سالم اجعل الناس أبا وأخا وابنا، فبر أباك واحفظ أخاك وارحم ابنك" وهي وصية كانت في غاية العدل بين الناس والمساوات في الرعية(١٠٣) .

ثامنا: الاهتمام بالجوانب السياسية والعسكرية:

أورد صاحب كتاب رونق التحبير اهتمام واضح في هذه الجوانب ومن هذه الأمثلة ما أورده في الباب الأول عند حديثه عن (حال الملك وهيئته) إذ يورد قول ينسبه للحكماء بقوله: قالت الحكماء: "سعادة الرعية في طاعة الملوك وسعادة الملوك في طاعة ملك الملوك سبحانه وتعالى فالسلطان زمام الأمور ونظام الحقوق وظله الممدود على عباده به يمنع حريمهم وينصر مظلومهم ويقمع ظالمهم ويؤمن خائفهم فالملك هو الأساس والرعية هم البناء وبناء لا أساس له متداع للسقوط"(١٠٤)اما اهتمامه بالجوانب العسكرية فلها شواهد عده نورد منها اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب في ترتيب الجنود في الإسلام وذلك حين دون الديوان الذي رتبه حسب القربى من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك رتب ترتيب أطلقوا عليه الترتيب الخاص الواحد بعد الواحد فيترتب بالسابقة في الإسلام فإن تكافؤوا في السابقة فيترتبون بالدين فإن تقاربوا فيه ترتبوا بالسن فإن تقاربوا في السن ترتبوا بالشجاعة فإن تقاربوا فيها فولي الأمر بالخيار في ان يرتبهم بالقرعة أو يرتبهم على راية واجتهاده(١٠٥)وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عند عقد الألوية باسم الله وبالله وعلى عون الله امضوا بتأييد الله والنصر ولزوم الحق والصبر فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله (ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين)(١٠٦)ولا تجبنوا عند اللقاء ولا تميلوا عند القدرة ولا تقتلوا هرماً ولا تشرفوا عند الظهور ولا تقتلوا امراه ولا وليدا وتوقوا قتلهم إذا التقى الجمعاء أو عنده شن الغارات(١٠٧).

تاسعا: الاهتمام باللهو واللعب:

من خلال الاطلاع الأبواب التي أوردها ابن سماك نجد أنّه قد أورد في أكثر من باب بهذا الجانب وأهم هذه الأبواب هو الباب الحادي والعشرون الذي سمي به (منادمة الملك) والباب الخامس والعشرون في (مسامرة الملك) والباب السادس والعشرون (في اللعب مع الملك) والباب الحادي والثلاثون في (تسلية الملك) وكل هذه الأبواب أورد فيها ما يدعو فيه الملك للتسلية واللهو ففي الباب الحادي والعشرون يورد صاحب الكتاب نصاً بهذا الجانب يقول فيه: "واستمرت كذلك أخلاق الملوك من العرب والعجم حتى ملك يزيد بن عبد الملك فسوى بين الطبقة العليا والسفلى وأفسد طبقات المراتب وغلب عليه اللهو واستخف بقوانين المملكة وأذن للندماء في الضحك والهزل في مجلسه والرد عليه وهو أول من أدل عليه في وجهه على وجهه على جهة الهزل والملاعبة"(١٠٨) أمّا اهتمامه بإيراد ما يدل على اللعب بقوله: "ولخدام الملك وعبيده وندمائه خلال يساوون الملك فيها ضرورة وليس فيما نقص... من ذلك طراد الخيل والمسابقة فيها ومنها اللعب الشطرنج ومنها اللعب بالكره والصولجان"(١٠٩) .

عاشرا : عدم توازن الاستشهادات بالخلفاء:

مما تجد الأشار ة إليه من خلال قراءه الأبواب الأربعون فإنّنا أدركنا وبوضوح غفلة المؤرخ عن بعض الاستشهادات سواء كانت في السيرة النبوية الشريفة أو في سيرة الصحابة والتابعين علماً أن كثير في الأحداث السياسية كان ممكن ان توظف لصالح جزء كبير من تلك الأبواب التي أوردها وبرغم من ذلك كله فإننّا أدركنا ومنذ الباب الأول إن ابن سماك يعتمد شخصيه المؤرخ الموضوعي والتجرد من اي ميول أخرى وذلك من خلال الاعتماد والحيادية في إيراد أسماء الخلفاء والصحابة من خلال الترضي عليهم وتوقيرهم فيما يتلاءم ومكانتهم في الإسلام (١١٠)من الملاحظات التي دونت بحق منهج ابن سماك في كتابه رونق التحبير هو بالرغم من ايراده واستشهاده بالسيرة النبوية لكننا ادركنا منذ الباب الأول انه لم يعط هذا الجانب حقه سيما وان السيرة النبوية هي الأعظم من خلال ما تحمله من أدبيات السياسة والإدارة كذلك لم نعثر على صوره لأي حدث سياسي في فترة خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالرغم من كثرة أحداث عصره وكذلك الحال بالنسبة للخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد ركزت الأبواب على سيره وسجايا الخليفتان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أجمعين وكان الأولى بالمؤرخ أن يعطي مساحه لكل من هؤلاء الصحابة اهتمام خاص لأنّ فترات حكمهم تمثل اللبينات الأولى في حياة إسلام.

أحد عشر : التسلسل الزمني:

من خلال أبواب الكتاب والأمثلة التي أوردها ابن سماك نجد إنّه يراعي التسلسل الزمني للفترات والأشخاص الذين استشهد بهم في أبواب كتابه رونق التحبير فإنّه يلزم بالتسلسل الزمني مثلاً في الباب الخامس (حال الكاتب ووصفه) قد أجاد في الاستشهادات عند حديثه عن الخط وراعى التسلسل في ذلك فإنّه يروي أولا عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ثم يذكر قول للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(١١١) وكذلك في الباب الخامس عشر فانه راعى هذه المسألة عند التحدث عن (سياسة الحروب وتدبيرها)(١١٢).

الاستنتاج:

من خلال دراسة كتاب رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير لابن سماك العاملي توصلنا إلى عده أمور:

١. يعد هذا الكتاب من كتب الآداب السلطانية لأنّه جاء يمثل أدبيات التعامل مع الملك وحاشيته.

٢. قسم الكتاب إلى أربعين باب ركزت على جانب يتعلق بشخص الملك أو الحاكم من خلال وصايا يجب على من يدير الملك أن يتحلى بها ومجموعة من هذه الأبواب الأربعون تناولت حالا الرعية من قاده ووزراء وكتاب وعامة الناس وقد جعل لكل فئة أدبيات خاصه للتعامل مع الملك والعكس.

٣. تدخله في السياسة وتأثره بالأحداث السياسية بالأندلس عامه وسلطنه غرناطة خاصه نجد ان ذلك قد إثر في شخصيته نبعا للمرجعية السياسية آنذاك.

٤. اعتمد ابن سماك العاملي في كتابه رونق التحبير على مجموعه موارد تكاد تكون مختصره على مجموعه قليله من المصادر اكتفى بإحالة القارئ إليها. كانت منهجيه المؤرخ واضحة من خلال اعتماده عده محددات في كتابه واراده للأحداث التاريخية وهذه كانت بمثابة دليل القارئ في استنباط فكر المؤرخ عند كتابته لمؤلفه هذا.

هوامش البحث

(١) ابي القاسم محمد بن ابي العلاء المعروف بابن سماك العاملي، الزهرات المنثورة في نكت الاخبار المأثورة ، نشر: مجله العربي للدراسات الاسلامية (مدريد /١٩٨) ص٩.

(٢) ابن الخطيب , محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله , اوصاف الناس في التواريخ والصفات , تحقيق محمد كمال شبانة ,ص٦٧ .

(٣) الزركلي , خير الدين محمود محمد علي , الاعلام , دار القلم للملا , ط٥ , (بيروت ٢٠٠٢) ٧١ /٣٦.

(٤) نفسه: ٧ /٢٦.

(٥) لسان الدين ابن الخطيب , الكتيبة الكامنة فمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، تحقيق : احسان عباس , الدار العربية للكتاب, (بيروت ١٩٩٣) ص١٩٨.

(٦) نفسه, ص ١١٤.

(٧) لسان الدين ابن الخطيب , الكتيبة الكامنة ,ص ٢٩٩.

(٨) شيماء عبدالباقي محمود , صناعة السفن الحربية في مدن البحر المتوسط وكيفية تطورها عند المسلمين خلال القرن الأول الهجري / السابع الميلادي , مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية , المجلد ٧ , العدد ٣ , ٢٠١٢ , ص١٠.

(٩) الغرناطي : نسبه الى استقراره في مدينة غرناطة فاصحب شهرة لاسمه.

(١٠) مالقة : مدينة بالأندلس عامره من اعمال تربة سورها على شاطئ البحر بين جزيرة الخضراء والمريه . ينظر : ياقوت الحموي , شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (ت: ٦٢٦ هـ) ,معجم البلدان ، دار صادر , ط٢ (بيروت :١٩٩٥) , ٥ /٤٣.

(١١) الحموي , ياقوت , ٤ / ٤١١.

(١٢) النباهي :علي بن عبد الله بن محمد بن محمد (ت:٧٩٢) المرقبة العليا فيمن يستخف القضاء والفتيا , تحقيق : لجنة احياء التراث العربي : دار الافاق الجديد , ط ٥, (بيروت : ١٤٠٣) ص ١٠٩.

(١٣) الزركلي , الاعلام , ٧ /١٥٣.

(١٤) ابن سماك العاملي, رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير, نشر: محمد علي بيضون , (بيروت ٢٠٠٤), ص ١٢.

(١٥) ابن سماك العاملي , المصدر السابق ص ١٢.

(١٦) لسان الدين ابن الخطيب , ص ٧٦.

(١٧) نفسه, ص٢٩٩ – ٣٠٠.

(١٨) النباهي , المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا , ص١٠٠.

(١٩) ابن سماك , رونق التحبير , ص٢٠ .

(٢٠) محمد عبد الله عنان , نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين , ص١٠٧

[٢١] محمد المســـتعين , أبو عبد الله محمد بن يوســـف بن محمد الغني بالله , تولى الملك بعد وفاة ابيه ابي الحجاج يوســـف الثاني (٧٩٧هـ /١٣٩٤م) وذلك بعد اقصاء اخيه الاكبر يوسف عن العرش .. توفى محمد المستعين سنة (٨١١هـ /١٤٠٨م) ينظر : الزركلي , الاعلام , ٧ /١٥٤.

[٢٢] رابحة محمد خضـر ونسـيبة عبدالعزيز الحاج علاوي , موقف الدولة العثمانية من محنة مسـلمي الاندلس , مجلة جامعة كركوك للدراسـات الإنسانية , المجلد ٧ , العدد ٣ , ٢٠١٢ , ص١.

[٢٣] ابن سماك , رونق التحبير , ص٧

[٢٤] نفسه, ص٧

[٢٥] نفسه, ص ٢٠

[٢٦] نفسه, ص ٢٠

[٢٧] نفسه, ص ٢٠

[٢٨] نفسه, ص ٢٠

[٢٩] نفسه, ص٢١

[٣٠] نفسه, ص ٢٢

[٣١] نفسه, ص ٢٣

[٣٢] سورة النساء , اية : ٥٩

[٣٣] ابن سماك , رونق التحبير , ص٢٣

[٣٤] ابن سماك , رونق التحبير , ص٢٤

[٣٥] ابن سماك , رونق التحبير , ص٢٥

[٣٦] المالقي : ابي القاسم عبدالله بن يوسف بن رضوان (ت: ٧٨٤هـ) , الشهب اللامعة في السياسة النافعة , تحقيق : محمد حسن محمد من اسماعيل , دار الكتب العلمية , (بيروت :) , ص١١٩

[٣٧] ابن سماك , رونق التحبير , ص٢٦

[٣٨] ابن سماك , رونق التحبير , ص٢٦

[٣٩] ابن سماك , رونق التحبير , ص٢٤

[٤٠] ابن سماك , رونق التحبير , ص٢٩

[٤١] ابن سماك , رونق التحبير , ص٢١١

[٤٢] ابن سماك , رونق التحبير , ص٣٢

[٤٣] ابن سماك , رونق التحبير , ص٣٦

[٤٤] ابن سماك , رونق التحبير , ص٣٨

[٤٥] ابن سماك , رونق التحبير , ص٣٥

[٤٦] ابن سماك , رونق التحبير , ص٣٥

[٤٧] ابن سماك , رونق التحبير , ص٣٧

[٤٨] نفسه, ص٤٠

[٤٩] نفسه, ص٤٢

[٥٠] نفسه, ص٥٤

[٥١] نفسه, ص٥٧

[٥٢] نفسه, ص٥٨

[٥٣] نفسه, ص٦٣

[٥٤] الماوردي, ابي الحسن علي الماوردي , الاحكام السلطانية والولايات الدينيه , دار الكتب العلمية , بيروت , ص ١٠١ /١٠٢ /١٠٣

[٥٥] ابن سماك , رونق التحبير , ص ٦٧ , ٦٨

[٥٦] نفسه, ص٧٦

[٥٧] نفسه, ص٧٦

[٥٨] نفسه, ص٩٥

[٥٩] نفسه, ص٩٧

[٦٠] نفسه, ص٩٧

[٦١] نفسه, ص٩٩

[٦٢] نفسه, ص٩٩

[٦٣] سورة الانعام, الآية : ١٥٦

[٦٤] ابن سماك , رونق التحبير, ص١٠٣

[٦٥] نفسه, ص١٠٧

[٦٦] ابن الحاج : محمد, تاج الملوك المسمى بدرة الانوار , تحقيق : عبد الفتاح السعيد الطوفي, المكتبة الثقافيه, بيروت :) , ١٠٧

[٦٧] ابن سماك, رونق التحبير, ص١٠٩

[٦٨] نفسه, ص١١٤

[٦٩] نفسه, ص١١٨

[٧٠] نفسه, ص١١٩

[٧١] ابن الحاج , التاج , ص١١٩

[٧٢] ابن سماك , رونق التحبير, ص١٢٥

[٧٣] ابن سماك , رونق التحبير, ص١٢٦

[٧٤] نفسه, ص١٢٨

[٧٥] نفسه, ص١٤٣

[٧٦] نفسه, ص١٤٣

[٧٧] نفسه, ص١٤٥

[٧٨] نفسه, ص١٤٦

[٧٩] نفسه, ص١٤٦

[٨٠] نفسه, ص١٤٩

[٨١] القرطبي : ابي عمر يوســـف بن عبد الله بن محمد (ت١٢٦٨) ، بهجة المجالس وانس المجالس ، تحقيق : محمد موســـى الخولي : ١ /٣٥٧.

[٨٢] ابن سماك , رونق التحبير,ص٥٩

[٨٣] نفسه, ص٩٩ .

[٨٤] ابن الازرق : اي عبد الله , بدائع السلك في طبائع الملك , تحقيق : علي سامي النشار ، ١ /٤٥٠, ٤٥٦

[٨٥] المالقي , المصدر السابق,ص٢٠٧

[٨٦] القرطبي, المصدر السابق : ص ٣ /٥٥

[٨٧] الماوردي, المصدر السابق , ص ٣٠

[٨٨] ابن سماك , رونق التحبير, ص١٣٦.

[٨٩] سورة طه , الاية : ٢٩

(٩٠) القرطبي, المصدر السابق , ١ /٣٥٧

(٩١) ابن سماك , رونق التحبير, ص٥٠

(٩٢) نفسه, ص٥

(٩٣) نفسه, ص٢٥

(٩٤) نفسه, ص١١١

(٩٥) نفسه, ص١١٢

(٩٦) نفسه, ص٦٥

(٩٧) نفسه, ص٧١

(٩٨) عثمان بن حنيف : هو أبو عبدالله ابن وهب بن حكيم بن ثعلبه بن الحارث الانصـــاري الاوســـي توفي في خلافة معاوية بن ابي ســـفيان . ينظر : الذهبي , شمس الدين محمد بن عثمان , سير اعلام النبلاء : تحقيق شعيب الارنوؤط , مؤسسة الرسالة , ط ٣ : ٢ / ٣٢٠

(٩٩) ابن سماك , رونق التحبير, ص٧٤

(١٠٠) نفسه, ص٦٩

(١٠١) نفسه, ص٧١

(١٠٢) المالقي , المصدر السابق,ص٤٢٣

(١٠٣) ابن سماك , رونق التحبير, ص١٥٣

(١٠٤) نفسه, ص٨١

(١٠٥) ابن سماك , رونق التحبير, ص٨٤

(١٠٦) سورة البقرة , الاية : ١٩

(١٠٧) ابن سماك , رونق التحبير, ص٢٣

(١٠٨) نفسه, ص١٠٩

(١٠٩) نفسه, ص١٢٥

(١١٠) نفسه, ص٥٠

(١١١) نفسه, ص٥٢

(١١٢) نفسه, ص ٨٩-٩٠-٩١